فى التربية والتعليم

القدوة الصالحة

وأثرها فى التربية

بقلم الأستاذ الفذ محمود أحمد الحفيف

القدوة الصالحة أثر خطير فى التربية ، بل لعلها أعظم وسائل التربية خطرا وأبعدها أثراً . بيد أنها على خطورتها قلما يلتفت اليها المربون . فترى كثيرا منهم يلقنون تلاميذهم الفضائل تلقينا ، ويحثونهم على السلوك الحميد بطريقة وعظية مملولة ، لايكاد الأطفال يستمعون لها ، حتى يعرضوا عنها نافرين فالطفل فى دوره الأول يرم بالوعظ ، نفور من الواعظين ، ميال إلى عمل مايهوى والانصراف عما لايحب ؛ فطبيعته الرحة وطفولته الوثابة تجعلانه كالعصفور لايهبط إلا ليطير ولا يستقر إلا ليثب . وهو فى مستهل حياته إلى جانب الخيال أسرع منه إلى جانب العقل ، وإلى جانب العاطفة أقرب منه إلى جانب النقد والتفريق بين مشارب الناس فى سلوكهم ومناهجهم فى تفكيرهم بأثر بما يرى أكثر منه بما يسمع ويعى ، وتلك فرصة طيبة يستغلها المربى الماهر استغلالا موفقا ماهرا فيتسيطر على الأطفال بشخصه ويستهوى قلوبهم بسلوكه فتنطبع فيهم صورته ، وتتجدد فى حياتهم حياته .

وأى شىء لعمرى أبهج للنفس وأدعى إلى الارتياح من أن يرى المعلم صورته فى تلاميذه ، بعد أن يشبوا ويزجوا بأنفسهم فى معترك الحياة ؟ وأى عزاء للمدرس أبلغ أثرا فى نفسه من أن يرى آذان تلاميذه تصغى إليه وأفئدتهم تهوى إلى فؤاده ؟ ثم أى وسيلة أسبل فى تهذيب الأخلاق من تلك الوسيلة المؤثرة الطيبة ؟

نعم إن القدوة فضلا عن عظيم أثرها من أسهل وسائل التربية ، فهى ضرب من الإيحاء النفسى لاأثر للجهد والعناء فيه ، فما على المدرس سوى أن يظهر وسط الأطفال على خير مايقبغى أن يكون خلقا وخلقا ، دون حاجة كبيرة منه إلى الالتجاء إلى الوعظ والتنبيهات المتكررة ، فقليل من الأرشاد والنصح كاف لأخذهم بما يحب إذا كان سلوكه متفقا مع مايدعو إليه .

ولقد أثبتت التجارب ، أن المربى الأول أبعد تأثيرا فى نفوس الناشئين وعقولهم من كل من

يأتون بعده، وعلى ذلك فإذا كانت لهم فيه قدوة صالحة ، شبوا على حبائه ، وصعب تحويلهم عما شبوا عليه ، على عكس ما لو طبعوا على مالا يحمد بسبب القدوة السيئة ، فإن الأمل فى إصلاحهم يصبح من أصعب الأمور .

ومن هنا نستطيع أن نعتبر العلم الأول مربيا بأوسع معانى الكلمة فضلا عن كونه يعلم الأطفال ما يعلمهم من المواد ، وتلك ناحية من نواحى خطره ومكانته فى المجتمع ، وبقدر هذا الخطر كانت مسؤوليته ، وهو من غير شك شاعر بهذه المسؤولية عامل على تحقيق آمال المجتمع فيه

وغنى عن البيان أن الدعوة إلى الفضيلة دون التحلى بها نفاق وضرر هذا النفاق جد عظيم ، فالولد حينما يسمع مربيه ينبأه عن وذائل يقع هو فيها ، يستهتر بالأخلاق ولا يخش سلطانها ، ويعلم فى ذهنه أنها أمور تقال فى المدرسة وتقرأ فى الكتب ولا وجود لها فى الحياة فعلا ، ومن ثم ينشأ ذلك النوع من الفضائل التمثيلية فيكون الولد فى سلوكه أمام الناس كمن يمثل دورا على المسرح حتى إذا خلا إلى نفسه أطلق العنان لشهواته فى غير خوف ولا اقتصاد .

وينبغى ألا ننسى هنا تأثير العادة وسلطانها ، فإن الطفل اذا عود منذ صغره أمرا كبر هذا الأمر معه ، فإذا لم يعود الأطفال القدوة الحسنة مالوا إلى الرذيلة وانغمسوا فيها ، وانحدروا إلى مهاوى الشقاء .

ولقد أثبت علماء التربية أن ما يسود أخلاق الطفل منذ الصغر حتى ولو فى توافه الأمور يظهر فى أعماله رجلا فى شكل أوضح وفى أمور أعظم شأنا وأبعد فى حياة المجتمع اثرا إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ذلك أن الولد يدل على الرجل كما يدل الصبح على اليوم ، وعلى هذا يصدق قول القائل « ربما كان القابضون على ازمة الأطفال أقوى سلطانا وأعظم نفوذا من القابضين على أزمة الحكومات » .

وليست القدوة فى الخلق فحسب بل إنها ايضا تلعب دورا هاما من الناحية العقلية فالمدرس الملم بمادته ، الماهر فى شرح درسه ، يضرب لتلاميذه احسن الأمثال فى العلم والنظام ، وليس صغر سنهم يمانعهم ان يفطنوا إلى ما يتصف به مربيهم فى تلك الناحية فإن للأطفال إحساسا غريبا وهبهم إياه المولى سبحانه وتعالى ويهذا الاحساس ، يفرقون بين الدرس الجيد وغيره ، وبين الدرس المنظم وسواه من الدروس المهوشة الملتوية المسالك .

من هذا يتضح لك أيها القارئ الأول ناحية من أعظم نواحي مهمتك خطرا ، وما إخالك وقد أصبحت مناط آمال الآباء والمصلحين إلا محققا تلك الآمال ، عاملا على أن تحظو بأمتك في سبيل المجد إلى أبعد الغايات وحسبك هذا جزاء على ما تبذل من جهد ؟

محمود الخفيف

الاتحاد

الاتحاد : كلمة كبرت فحبتها القلوب و عظمت فمالت لها الرؤوس إجلالا . ثم سارت في القلوب سير الماء في العود فاهتزت وربت وأخرجت ثمرا ناضجا تستسيغه النفوس وتحن إليه القلوب . .

الاتحاد : كلمة فقه معناها أئمة البلاغة وأساطين دولة الأدب فأتوا لها من كل جدب بجيون ذلك المعنى الجميل في تلك الزهرة الجميلة : وتكاتفوا ثم عقدوا الخناصر على أن يحيوا ماثلتها في القلوب : وهم يعلمون فوائدها الجمة ومنافعها الجلية : —

الاتحاد : هو ذلك النور الساطع والبرق اللامع والهادي إلى أقوم طريق :

الاتحاد : هو القوة التي لا ترفع والسلم الذي يرقى عليه إلى أعلى الدرجات .

الاتحاد : هو الدعامة الكبرى التي اتخذتها الأمم الراقية فبلغت ما بلغت من صهوة المجد .

الاتحاد : هو المنهاج الذي رسمه الله لعباده وحثهم على نهجه . وبين لهم فوائده فإذا اتحدت جماعتنا وتعاونت وتظاهرت اشتدت الأواصر ودأبت النفوس على الصالح من الأعمال . وعليها إذا ما أرادت النجاح أن تسعى للاتحاد فالمرء قليل بنفسه كثير بأخوته ؟

مصطفى احمد بدر
رئيس مدرسة مغنأة خياط الازامية
غابة أبي للطامير بحيره